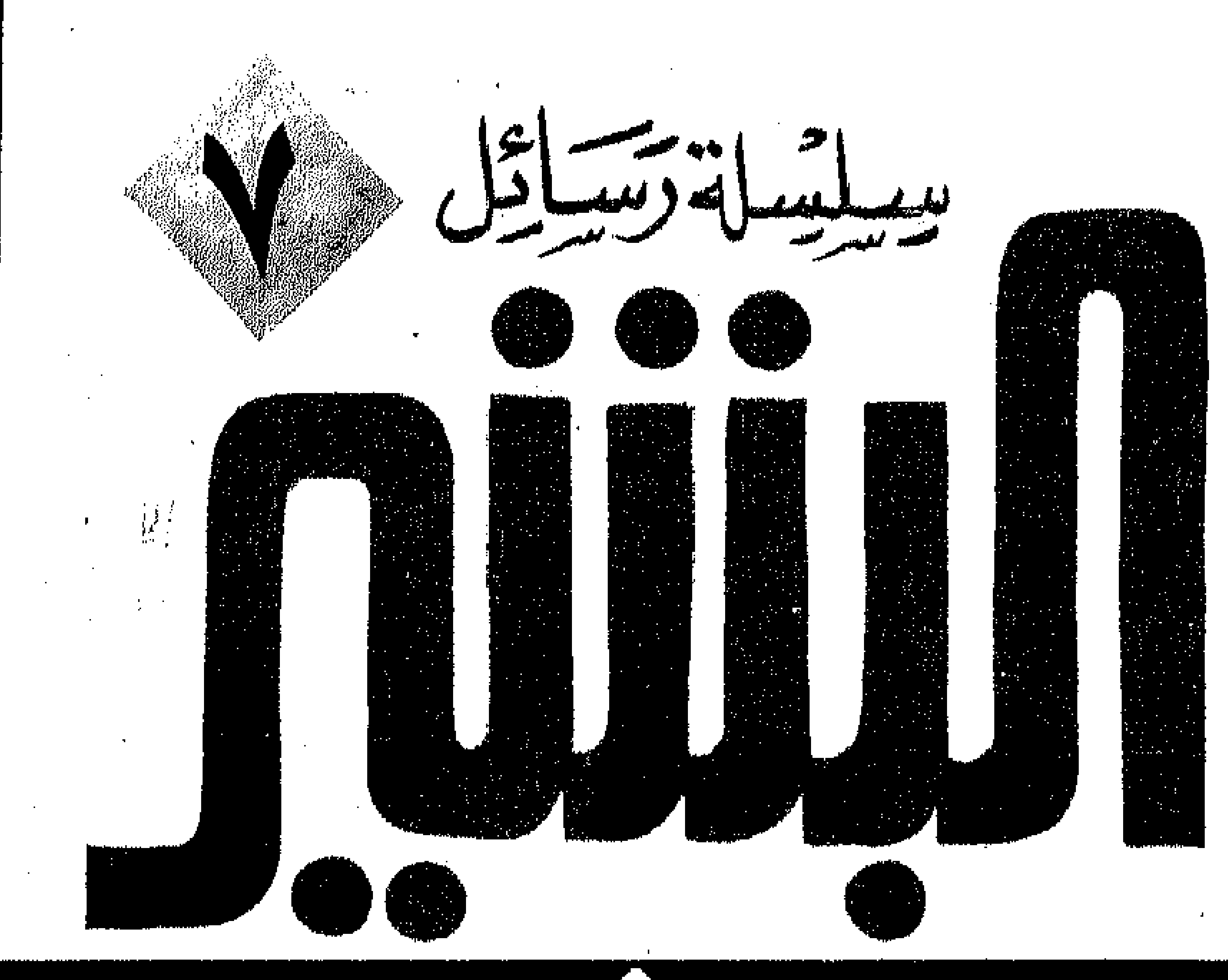




المثل الأعلى للشاب المسلم



المثل الأعلى

للشاب المسلم

تأليف

علي الطنطاوي

نشر وتوزيع

دار المنارة
جدة – السعودية

دار البشير
طنطا – ج.م.ع

بسم الله الرحمن الرحيم

الكتـــاب : المثل الأعلى للشاب المسلم .

الكـــاتب : الشيخ / على الطنطاوى

الطبعـــة : الأولي ـ مصر .

الناشـــر : دار البشير للثقافة والعلوم ـ طنطا ـ مصر ،

دار المنارة ـ جدة .

التـــوزيع : دار البشير ـ طنطا ـ أمام كلية التربية النوعية

☎ 322404 فاكس 331800 - 228277

التجهيز الفنى : شركة الندي للتجهيزات الفنية ـ المحلة الكبرى ص.ب 265

الإيداع القانونى: 1608 / 1995

الترقيم الدولى : I.S.B.N. 977 - 5635 - 00 - 4

المقدمة

لا إله إلا الله ، ما أعجب تصريف الأقدار ، وجلّ جلال المقدِّر . هل كان يخطر على بالي يوم ألقيت هذه المحاضرة أني سأعود إليها بعد سبع وخمسين سنة لأعدها في رسالة مفردة ؟

أين بيروت التي ألقيتها فيها من بيروت اليوم ، سلوا من عرَفها تلك الأيام ، ومن يعرفها الآن ، لقد بُدلت أنا وتبدل كل شيء من حولي ، فلا الدنيا في لبنان تلك الدنيا ، ولا الناس هم أولئك الناس .. كنت شاباً أكاد أتفجر من الحماسة ، وأكاد من النشاط ألا تمس قدماى الأرض التي أمشي عليها حين أمشي ، فصرت شيخاً دخلت في السادسة والثمانين .

كنت يومئذ مدرساً في الكلية الشرعية في بيروت ، التي صارت تدعى (أزهر لبنان) وكان مديرها – الأخ الوفي الذي وجدت من نبله وفضله ما لم أنسه ولن أنساه

إن شاء الله الأستاذ محمد عمر منيمنة ، وكان فيها الأستاذ الداعية إلى الله ، الذى بلغ الغاية فى الإخلاص والجرأة وما أعطاه الله من قوة الإيمان وقوة الجسد الشيخ صلاح الدين الزعيم ..

وكان من صغار تلاميذها العالم الشهيد ، السعيد إن شاء الله ، الشيخ المفتى حسن خالد ، والأديب القصصى الأستاذ سهيل إدريس ، وكان الرئيس الأعلى للكلية مفتى لبنان ، الذى رفع من مكانة الإفتاء بما أوتيه من الجرأة والإخلاص : الشيخ توفيق خالد .

رحم الله من مات ممن ذكرت ، ومن نسيت فلم أذكره هنا ، ووفق إلى الخير من بقى ، وختم بالصالحات أعمالهم وعملى ، وجعل ما كتبت وما خطبت من ستين سنة إلى الآن فى صفحة حسناتى « على قلتها » يوم توزع الصحف .. ورحم الله من قال من القرّاء آمين .

على الطنطاوى

مكة المكرمة : غرة جمادى الآخرة 1412 هـ

المثل الأعلي للشاب المسلم

خلاصة محاضرة ألقيت في بيروت سنة 1937 م

كلما أراد الشاعر الفرنسى الأشهر بول ڤاليرى أن يحاضر ، بدأ بتعريف مدلول الكلمات التى يتألف منهاعنوان المحاضرة . وهذه هى عادة أجدادنا ، إذا أخذوا فى الكلام على علم من العلوم ، أو مطلب من المطالب ، فليس عليَّ إذن من بأس ، إذا اتبعتها هذه الليلة ، فبدأت محاضرتى بتعريف المثل الأعلى ، والكلام على صفات الشباب الأساسية ، وتلخيص القول فى الإسلام . .

* * *

إنه ليس فيكم « أيها السادة » من هو راضٍ عن حالته ، مطمئن إليها ، وليس فيكم من لا يتصوَّر حالة

خيراً منها ، فإن كـان عالماً فكر فيـمن هو أعلم منه ، وإن كان غنيا تصور من هو أغنى ، فإذا صار مثل من يتصوره من الأغنيـاء ، أو يفكر فيـه من العلمـاء طمح إلى درجـة أعلى ، ومنزلة أسـمى ، لا يكاد يبلغها حتى يزهد فيـها ، ويطمع فيما وراءها .

وإذا أنتم استعرضتم أعلم العلماء ، وأجمل الفتيات ، وأبهى الريـاض ، وأبرع الصـور ، وأفـخم البنـى ، لرأيتم الذهن االبشـرى ، يتخيل على أهون سـبيل ، عالماً أكـبر ، وفـتـاة أجـمل ، وروضـة أبهى ، وبنيـة أفـخم ، وصـورة أبـرع .. ثم يبـالغ فى التخـيل حتى يسـتقـر على مرتـبة ، ويثبت فى منزلة ، لا يرى فوقـها منـزلة ، فـتكـون هـى « المثـل الأعلـى » .

فـالمثل الأعلى إذن ، هو أسـمى مـا يتـصـوره العـقل البشـرى ..والمُثل تتعـدد بعدد الناس ، فلكلٍ مـثله الأعلى فى الحياة ، وعدد الأشيـاء فلكلٍ صورته الكاملة ، ولكنها تجتـمع كلها على افتـراقها ، وتتـحد على تعددها ، أشـياء ثلاثة نبه إليـها أفـلاطون وأخـذ بها الـناس فى كل عصـر

ومِصر ، وأجمعوا على إجلالها ، واتخاذها مثلهم العليا ، وغاياتهم السامية ؛ وهنَّ : الحق والخير والجمال .

أما الشباب .. وهل أحتاج إلى تعريف الشباب ؟

الشباب الحياة ، والحياة الشباب ، (روائح الجنة فى الشباب) [1] .

خَلَق العيش فى المشيب ولو كا

ن نضيراً وفى الشباب جديده [2]

الشباب يا سادتى الواحة الفريدة فى صحراء الحياة ، وهو الربيع فى سنة العمر ، هو البسمة الوامضة على ثغر الزمان القاطب.

لست أعنى هذا الشباب الغض الغريض ، الحلو الناعم ، الذى يجرح خدَّيه لمس النسيم ، ويدمى بنانه مسُّ

---

(1) أبو العتاهية . (2) البحتري : والخَلَقُ . العتيق .

الحرير ، والذى تَرِقُّ عنده الحياة ، حتى تسيل من العيون نظرات ساحرة مغرية ، وتدق جلائل الأعمال فيها حتى تستحيل إلى فكرة ، تطير كالفراشة بين أزهار الجمال ، فى روضة الحب ، أونسمة معطرة تهب من حواشى فتاة فتانة ، أو قبلة فيها خمر وعسل ، تجمع لذائذ الدنيا فى رشفة مسكرة ..

لست أعنى هذا الشباب الفاتن المتأنث الذى يعيش للهوى والأحلام ، ويبدأ تاريخ حياته بالحاء (ح) فلا يلبث أن ينتهى بالباء (ب) ...

إنما أعنى الشباب الحىّ العامل ، القوى المتين ، الذى وضع له غاية فى العيش أبعد من العيش ، ونظم نفسه حلقة فى سلسلة شعبه ، واتخذ له مطمحاً ، ومثلاً عالياً ، ثم عمل على بلوغه ، وسعى إليه باندفاع الصواعق المنقضة ، وقوة العواصف العاتية ، وثبات الطبيعة ، وألقى فى سفر حياته الراء بين الحاء والباء ؛ وهل الحياة إلا حرب

دائمة ونضال مستمر ، وتنازع على البقاء ، وتسابق إلى العلاء .

لا يبقى غير الصالح ، ولا يصلح غير القوى ..

هذه هى الحقيقة الباهرة ، هذا هو القانون المقدس الذى لا يلغيه برلمان ، ولا يعبث به إنسان ، ولا يخرج عليه إنس ولا جان ولا حيوان ، لأنه من قوانين الله التى كتبها على صفحة الوجود ، يوم أخرجه من العدم ، وقال له : كن . فكان .

الجراد يأكل البعوض ، والعصفور يفترس الجراد ، والحية تصطاد العصافير ، والقنفذ يقتل الحية ، والثعلب يأكل القنفذ ، والذئب يفترس الثعلب ، والأسد يقتل الذئب ، والإنسان يصطاد الأسد ، والبعوض يميت الإنسان هذه هى السلسة الخالدة لا تبديل لها ولا تغيير .

إما أن تقتل الأسد ، وإما أن يقتلك البعوض .

فيا شباب ! لا يغلبكم البعوض ، ولكن اغلبوا الأسود !

* * *

الحق ثقيل ، ولكن الحق أحق أن يقال ، فأرجو ألا يغضب مَن ههنا ممن يحسبون أنفسهم شيوخاً إن خاطبت الشباب ، وقلت : إن المستقبل للشباب .

ولكن من هم الشباب ؟ :

يصف أندريه موروا الشباب بالرغبة الأكيدة في حياة العاطفة والحب ، وحياة الحماسة والبطولة ، أي بالمجون والاستهتار ، والميل إلى الإصلاح ، والإخلاص للمبدأ والزعيم ، والاندماج والفناء في المجموع (في الجمعية أو الحزب أو الأمة) ، وبأنهم أدنى إلى المثل العليا ، وبأن شعارهم الإقدام والتعجل والسرعة وبعض الأناة والانتظار [1] .

---

(1) أندريه موروا ، في كتاب (طريق السعادة) وهو مجموعة من محاضرات في السعادة والزواج والأسرة .

الشباب بهذه الصفـات ، ليس الشباب بورقة النفوس وسـجل الميـلاد ، فكل من مـات قلبـه ، وانطفـأت شـعلة حماسـته ، وضاعت مثله العليا ، وأحسَّ بـأنه قد بلغ مأمله فلم يعدْ له أمل، فهو شـيخ ولو كان فى العشرين من سنه .
وكل من كـان له قلب ، وكانت له آمـال ومطامح ، وكل متحمس مندفع شابٌّ ولو شاب! .

فلا تغـضبوا يا سـادتى الكهول إذا قلت إنَّ المستـقبل للشباب ، ورفـعت من شأن الشباب فإن فـيكم شباباً ولو ابيضَّت لحاهم ورؤوسهم ، وانحنت ظهورهم ، وتجعدت جباههم . هم شبـاب العزائم والقلوب ! وهؤلاء الخاملون من الشباب هم الشيوخ . لا تعـجبوا يا سادتى ، فلقد كان شوقى شاباً فى مطلع شبابه يوم كان شاعر الأمير ، ثم عاد شوقى شـاباً فى كهـولته يوم صـار شاعـر الآمال والآلام ،

شاعر العروبة والإسلام ..

بقي عليَّ تعريف الإسلام ، ولكن من العبث يا سادتي أن أعرِّف الإسلام ، وأنا أحاضر قوماً هم بحمد الله مسلمون ، ولا يكون مسلماً من لا يعرف ما هو الإسلام ، ولا صلة له بعلومه ، ولا اطِّلاع له على أحكامه ، ولا وقوف له على أمره ونهيه ، وعند أمره ونهيه.

إن من العبث أن أقول لكم : إن ديننا إيمان وعقائد ، وإسلام وعبادات ، وإحسان وأخلاق ، وسياسة وشريعة ، وإن له في كل جانب من جوانب الحياة مصباحاً يضيء ، ومناراً يهدي . وإنه لا يفارق المسلم أبداً ، ولا يدعه لحظة . إن كان وحده ، منفرداً بنفسه كان معه الإسلام يأمره بأن يحاسب نفسه ، ويتوب من ذنبه ، ويتأمل في بديع صنع الله في نفسه وفي العالم ، ويستدل بالصنعة على الصانع ، وبالأثر على المؤثر . ﴿ **وفي أنفسكم** ﴾ أكبر

الدلائل ، وأقوى الحجج ، ﴿ أَفَلاَ تُبصرُونَ ؟﴾ أولا يتفكر هؤلاء الجاحدون ﴿ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيرِ شَيءٍ أَم هُمُ الخَلِقُونَ ؟﴾ . ﴿ أولم يتفكروا فى أنفسهم ؟ ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى ﴾ ، ﴿ أفلا تتفكرون ﴾ .

وإن كان المسلم فى المجتمع كان معه الإسلام ، يبين له سبيل الحكمة ، ويدله على صراط الأخلاق المستقيم ، ويأمره بأن يحسن استعمال هذه القوى التى وهبها له الله ، فلا يتبع بها ما ليس له به علم ، ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ﴾ .

ولكن يستعملها فى سبيل العلم ، العلم كله حتى الفلك والجيولوجيا وعلم الأجناس ، هذه العلوم من آيات الله . قال تعالى : ﴿ ومن ءاياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات

للعالمين ﴾ ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ .

ينظم الإسلام العلاقة الاجتماعية خير تنظيم ، ويبنى الأمة أمتن بناء ، يبدأ بإنشاء الأسرة فيجعل لها رأساً مسئولاً ، له حق الطاعة لينتظم الأمر ، وتتم المصلحة ، وعليه واجب العدل والعمل ، وجعل الرجل هو الرأس (أ) لطبيعة تكوينه وخلقته ونوع عمله وغايته ﴿ **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم** ﴾ وجعل على النساء واجباً ولكنه أعطاهن حقاً مثله ﴿ **ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف** ﴾ ورفع من شأن التربية ، وجعل للمربين الأولين ، للوالدين ، أرفع مقام ، وجعل طاعتهما مقرونة بالتوحيد الذى هو رأس الدين وبيت قصيده ودعامة بيته . قال عز من قائل : ﴿ **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه**

(أ) ومن آيات الله في ملكوته أن الرأس لايكون إلا مذكراً في اللغة وفي الحياة ، ولكن أكثر الناس غفلوا عن الآيات فأنثوه فقالوا بأقلامهم في صحفهم : هذه الرأس ، وقالوا بأفعالهم في بيوتهم : هي الرأس .

وبالوالدين إحسنا ﴾ ﴿ **رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا** ﴾ ووضع خير القواعد وأحكمها للزواج والطلاق والإرث .

وينظم الإسلام أمور الأمة ، ويقيمها على أساس من الفضيلة والعدل . ﴿ **قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق** ﴾ .

ويشرع لها القوانين الثابتة المحكمة فى معاملاتها ، والقواعد الأخلاقية السامية فى علاقاتها الخاصة .

ويدعو إلى ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة والدليل الواضح والبرهان القاطع ، لا بالإرهاب ولا بالترغيب . ﴿ **يأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا** ﴾ ودعا المخالفين إلى المحاجّة والمناظرة ، وإقامة الأدلة ﴿ **أم اتخذوا من دونه ءالهة قل هاتوا برهانكم** ﴾ ﴿ **أءله مع الله قل هاتوا برهانكم** ﴾ .

وعاب الإسلام التقليد والجمود واتباع الآباء

والأجداد ، وإهمال العقل ، ودفع الناس إلى التفكير ، وإقامة البراهين العقلية والأدلة اليقينية ، أى أنه دعا منذ (1400) سنة إلى الطريقة العلمية التى يفخر بها علماء اليوم ويظنونها من ابتكارهم وأثراً من آثار حضارتهم قال تعالى يذم أهل الجمود وينعى عليهم : ﴿ **وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه ءاباءنا أوَلَوْ كان أباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون** ﴾

إنكم تعرفون هذا كله أيها السادة لأنكم مسلمون وإن من العيب أن ألقيه عليكم فما جئت لأعرِّف الإسلام ولا أردت تعريفه ، ولكن أحببت أن أوجه أبصاركم إلى مسألتين مهمتين :

أما المسألة الأولى : فهى أن ديناً يضع للعقل قواعد التفكير ، ويشرع للعلم طريق البحث ، وينظم حياة الفرد وحياة الأسرة ، ويكون هو القانون المدنى والجزائى ، والقانون الدولى ، والأخلاق والفلسفة ؛ إن

ديناً هذا شأنه ، لا يصح أن يعدَّ مع الأديان التى لا تتجاوز أحكامـها عتبات معابدها ، ولا يجـوز أن نطلق عليه ما يطلقونه عليها من أحكام .

فإذا قبلنا بمبدأ فصل الدين عن السياسة مثلاً ، فلا يصح أن نستنتج منه وجوب فصل الإسلام عن السياسة ، لأن الإسلام ليس ديناً فقط ، ولكنه دين وسياسة ، وهل تستطيعون يا سادتى أن تحذفوا سورة « براءة » مثلاً من القرأن لأنها سياسية ...؟

وإن قبلنا مبدأ استقلال العلم عن الدين ، لأن الدين لا يستند إلى البحث العلمى ، ولا إلى العقل ، فلا يصح أن نسحب هذا الحكم على الإسلام ، لأن الإسلام ليس دينا وسياسة ولكنه دين وسياسة ومنطق وعلم ..

هذه يا سادتى حقيقة ظاهرة ظهور الشمس ، ولكن أكثر شبابنا لا يرونها ، خفيت عنهم ، وغربت هذه الشمس من أفق تفكيرهم ، فتخبَّطوا فى ظلام ليل أليل ،

فلذلك ترونهم يأخذون كل ما يقوله الإفرنج عن دينهم فيطبقونه على الإسلام ، على الاختلاف بينهما ، والتباين بين طبيعتيهما ..

ولعل من هذا الباب تسمية العلماء برجال الدين ، وإنها لتسمية باطلة ، فَشَنَتْ على الألسنة ، وعمّ بلاؤها ، ونسى المسلمون أنهم كلهم رجال الدين ، دين الإسلام ، دين المساواة والسمو والعمل ، ليس فيه طبقات مميزات من طبقات ، وليس أحد أحق به من أحد ، وليس فيه جماعة هم وكلاء الله ، يحلون ويحرمون ، وهم أصحابه الأدنون وأهلوه الأقربون ، وغيرهم الأبعدون ، ولكن المسلمين كلهم « أبناء النبى وعترته والفارسيين والصينيين ، وكل من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله ..» لا فضل لأحد منهم على أحد إلا بالتقوى والعلم والقيمة الشخصية : ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ « لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى » ...

« يافاطمة بنت محمد ، لا أغنى عنك من الله شيئاً » ..

فلا تقولوا للعلماء رجال دين ، ولا تحملوهم وحدهم واجبات الدين ، فإن رجال الدين هم المسلمين كافة . ليس عندنا إلا العلم والتقوى ، فمن كان عالماً عظّمناه وسألناه ، ومن كان تقياً أحببناه وأجللناه ، ومن أخطأ وحرّف رددناه أو ردعناه ، كائناً من كان ذلك المخطئ وذلك الناقد . ليس الناقد بأقل من تلك العجوز ، وليس المنقود بأجلّ من عمر ! .

هذه المسألة الأولى .

أما المسألة الثانية : التى أحب أن أوجه إليها أنظاركم ، فهى أن الدين على ما يفهمه العلماء من أهل أوربا هو الذى ينظم علاقة الإنسان بالله ، وبما خلق الله من المخلوقات المغيبات وراء المادة وبالعالم الآخر ، فلا علاقة له بالحياة السياسية ولا الأوضاع الاجتماعية ، ولا

بالقوانين والنظم ، ولا يصح أن تبنى عليه الجامعة القومية .

هذا ما يقـرره العلماء الذين بحثوا فى هذه الجامـعة وطبيعتها وقيمتـها ، وفى مقدمتهم (رينان) فى محاضرته المشـهـورة التى ألقـاها فى الصـربون سنة 1882 . وهـذا صحيح فى الأديان ولكنه ليس بصـحيح فى الإسلام ، لأن الإسلام ذاتـه قوميّه ، ورابطـة اجتمـاعيـة معنوية ، ليـسـت قـائمـة على لغـة ولا على أرض . ولكن على مـا مـثل مـا يسميه (أرنسـت رينان) بالإدارة المشـتركة ويجعله أساس الرابطة الوطنية .

فليس وطن المسلم مكة ولا المدينة وحدهما ولا البلد الذى ولد فـيه ، ولكن وطن المـسلم المبادئ الإسـلاميـة ، فحيـثما وجدت هذه المبـادئ ، وحيثمـا كان أهل (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فثم وطن المسلم .

وعندى أن الرابطة الإسلامـية رابطة ﴿ **إنما المؤمنون أخوة** ﴾ مـعـجزة من أعظم مـعجزات الإسـلام ، لأنه أقر

منذ أربعة عشر قرناً المبدأ الـذى اهتدى إليه العقل البشرى سنة 1882 م ، وسار منذ أربعة عشر قرناً فى الاتجاه الذى يسير فيه العالم اليوم . ولقـد سقط اليوم مبدأ القوميات الذى دعا إليه الرئيس (ولسن) بعد الحرب ، ونهضت المبادئ الفكرية الاقتصادية ، فانقسم العالم كما ترون إلى جبهات ثلاث : الديمقراطية والشيوعية والفاشية [1] . وكما أن الشيوعى الفرنسى أخو الشيوعى الروسى ولو تناءت الديار وتباينت اللغات واختلفت الأجناس فكذلك المسلم أخو المسلم ، أينما كان وكيفما كان .

لقد انتهينا من تعريف المثل االأعلى والشباب والإسلام فلنشرع فى الموضوع :

قلت إن أندريه موروا وصف الشباب بصفتين أساسيتين : هما الحب والبطولة . أما الحب فهو عماد

---

(1) ذهبت الفاشية وستتبعها الأخريان . أقول الآن : وقد تبعتها الأخرى والثالثة على الطريق .

الحياة وركنها وأساسها ، لا معدى عنه ، ولا منجى منه .

وأحسب أن الشباب الحاضرين ، بل وكثيراً من الشيوخ يصفرون لى وينزلوننى عن المنبر ، إذا أنا قلت لهم : « لا تحبوا » وكيف أقولها ؟ أجننت حتى أقولها ؟ أنا لا أقول : حطموا القلوب ، ودوسوا العاطفة . وماذا يبقى لنا إذا خسرنا العاطفة ؟ .

لقد خسر إدوار عرش بريطانيا العظمى ، ولكنه ربح العاطفة فلم يخسر شيئاً . لقد أنسته عينا مدام سمبسون مُلْكَ إنكلترا ، فهل كان ينسيه هذا الملك الضخم ، وهذا التاج المرصع ، عينى سمبسون لو أنه هجرها [1] ؟ .

العاطفة هى التى تدير دولاب حياتنا ، وتسيّر أمورنا كلها ، أما العقل فلا يصنع وحده شيئاً . ومن يذكر منكم أنه مشى خطوة واحدة برأى العقل وحده ؟ .

---

(1) سلوه الآن لتروا كيف يعضُّ أصبع الندامة ، على أن باع مجد العمر بلذة ساعة . وترك واقعاً ملموساً لوهم ، وحقيقة قائمة لحلم !.

العقل ياسادتى فيلسوف أعمى ، حكيم مقعد ، ينادى بصوت خافت ضعيف .. أما العاطفة فهى القوة ، هى النشاط ، هى الحياة .

أنا لا أقول : اقتلوا العاطفة ، لأن فى موتها موتنا ، ولكن أقول إن العاطفة تضيق حتى لا تشمل إلا شخصاً واحداً ، وتنحط حتى تنزل من قلب هذا الشخص إلى ما تحت القلب ، إلى ما تحت ... السرة ! وتسمو حتى تحيط بالمثل الإنسانية العالية ، وتعم حتى تشمل الأمة كلها ، بلَ الإنسانية جمعاء .

فاسموا بعواطفكم عن مواطن شهواتكم ، وأخرجوا بها من ذواتكم ، وقِفُوها على أمتكم وبلادكم .

أحبوا ، فإن الذى لا يحب لا يكون إنساناً ، واذكروا واحلموا وتأملوا ...ولكن افهموا الحب بمعناه الواسع الذى يشمل كل ما هو حق وخيِّر وجميل ...لا المعنى الضيق العقيم ، الذى لا يتجاوز حدود جسم

امـرأة .

أحبوا ، ولكن ابقوا مسلمين .

إن للمسلم قلباً ، قال الله عز وجل : ﴿ **إن فى ذلك لذكـرى لمن كـان له قلب** [1] **أو ألقى السـمـع وهو شـهيـد** ﴾ ولكن المسلمين يغضون عيـونهم وقلوبهم وفروجهم ﴿ **إلا على أزواجـهم أو مـا ملكت أيمـانكم فإنهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فـأولئك هـم العـادون** ﴾ .

أحبوا ، ولكن ابقوا رجالاً .

إن الرجل إذا أحب لـم يبك و يتـذلل ويـأرق الليل ، ولـم يلق شـفـتيـه على قـدمـى المرأة ، كـمـا كـان يفـعل لامارتين ، ولكنه يقوم قائمـاً على مشط رجليه ، ثم يقول لها بعـينيه النافـذتين وعضلاته الحـجرية وإرادته الماضـية ،

(1) مهما كان معنى القلب هنا .

ورجولته البادية : « تعالى ! » .

أحبوا ، ولكن ابقوا أفراداً من هذه المجموعة البشرية التى هى الأمة ، لا يقطعكم الحب منها ، ويعدكم إلى الحياة الفردية الوحشية ، فتنكروا كل شىء ، وتنسوا الدنيا ، وتتجاهلوا الحياة إلا إذا أشرقت عليها نظرة المرأة ، وأضاءت فى أرجائها كلمة منها .

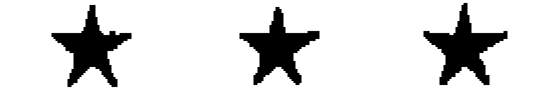
ولا تقيموا الدنيا وتقعدوها ، وتغرقوا الأرض بالدموع لأن الحبيبة المحترمة لم تمنح قبلة وعدت بها ، ولم تصل وقد لوّحت بالوصل ، تنظمون الأشعار فى هذه الكارثة ، وتنشئون فيها الفصول ، وتبكون وتستبكون ، ثم تنامون آمنين مطمئنين ، والنار من حولكم تأكل البلاد والعباد .

الشعر شعور ، فأى شعور وأى حس فيمن يرى أمة كريمة مجيدة بقضّها وقضيضها ، ومفاخرها وتاريخها وحياتها وأمجادها تطرد من ديارها وتخرج من بيتها وهى

أمته ، وأفـرادها إخوته لتعطى مسـاكنهـا إلى أمة من أسقط الأمم : أمة ضـربت عليـها الذلة والمسكنة وباءت بغـضب من اللـه ، وغــضب من الـناس ومن الحـق والفــضـــيلة والتاريـخ ، ويرى صدورها مفتحـة للرصاص ، وشيوخها مسـوقين إلى حبـال المشانق ، وشبابهـا فى شعاف الجبال وبطون الأودية يدفـعون الظلم بالدم ، وأطفـالها ونسـاءها بين لصــين : لص ديار ، ولـص أعـراض ، لص يحـــارب بالذهب ، ولص يقـاتل بالبارود ، ثم لا يحس بهـذا كله ، ولا يدرى به ولا يفكر فـيـه لماذا ؟ لأن الشـاعـر المسكين مصاب متألم .

ماله ؟ ما مصابه ؟ إن حبيبته لـم تعطه خدها ليقبله .

إن العاطفة إذا بلغت هذا المبلغ كانت جريمة .



وما دمنا في حديث الحب فلنوف الحديث حقه .

إن لى تعريفاً قديماً للحب ، هو أنه المُرْقِد (البنج) الذى وضعه الله لتمام عملية التناسل التى لا بد منها لبقاء النوع البشرى ، والتى لا يصبر الإنسان على احتمال قذارتها وآلامها لولا هذا المخدر ، فأول الحب إذاً ووسطه وآخره الاجتماع الجنسي والسلام .

أما الحب العذرى الأفلاطونى العفيف ، فليس إلا إحدى الأكاذيب الجميلة ، التى لا يصدق بها عاقل .

من أجل ذلك يشك العقلاء فى عفاف المرأة المحبوبة ، وينظر المسلمون إلى الحب (إلا لمن تحل له) نظر الريبة .

إنى لألحظ فى وجوهكم معنى الاستنكار والاعتراض ، وأرى فيها بوادر الثورة .

لا يا سادتى .. أنا لا أنتقد الحب ، ولا أشك فى

جماله ، ولكن أسألكم وأرجو أن تجيبوني بإنصاف : من هوالذي يسمح فيكم أن أحب زوجته أو أخته ؟.

لا تغضبوا يا سادتي .. فما أردت إلا التمثيل فجاء المثل غليظاً نابياً وإني ليسرني أن تستهجنوه ، لأن هذا دليل على أنكم للحقيقة أشد استهجاناً .

فلنعلن إذاً أن هذا الحب المعروف اليوم ، مما يأباه الإسلام ويتنافى مع المثل الأعلى للشابّ المسلم ، ولكن ماذا يصنع الشباب ؟ .

الجواب : يتزوجون .

نعم يتزوجون .

إن حياة العزب حياة خطرة على نفسه وعلى المجتمع .

إنه صندوق (ديناميت) يوشك أن ينفجر في كل لحظة فيدمّر سعادة أسرة من الأسر ، وينقض دعامة من

دعائم الوطن . إن حياة العزب حياة فارغة من كل شيء لأنها فارغة من الزوجة ولو امتلأت بكثير من النساء (غير الزوجات) .

إن أفكار العزب ، مهما اختلفت مناحيها وتعددت متوجهة إلى وجهة واحدة ، تسعى إليها بشدة وعنف كما تسعى السيول من كل جهة إلى قعر الوادى ، إنه لا يجتمع عزبان إلا نظما مؤامرة على الأخلاق والعفاف .

وإن قسطاً كبيراً من ثقل التبعة يقع على عاتق الآباء ، فهل فيكم أب مسلم له بنات يكون قدوة طيبة للآباء المسلمين الطيبين ، فيفتش عن شاب صالح جاد فيزوجه بما يستطيع من المهر والنفقات : بخمسين ليرة سورية [1] بثلاثين ، لم لا ؟ أهي تجارة ؟ أتريد زوجاً لبنتك صالحاً تسعد به ويسعد بها ، وينشئان أسرة شريفة

(1) كانت الخمسون ليرة يومئذ تعدل في الصرف عشر ليرات ذهبية وكان كيلو الخبز بثلاثة قروش ! والليرة مئة قرش .

مستورة أم تريد ذهباً تبيع به ابنتك ؟ .

هذا دواء هذا المرض العضال .

هذا حل المشكلة . فإذا لم تحلوها اليوم لا تنحل أبداً ، إذا لم تداووا المرض يموت المريض .

فيا وجهاء هذا البلد ، الوجاهة بالعمل النافع ، وبالتقوى والإصلاح، لا بالمال ولا بالفخفخة الفارغة ، ولا بالعظمة الجوفاء ولا بالمراتب العالية ، فاعملوا أو فتنحّوا عن أماكنكم لمن يعمل ! .

وإن من الحماقة التي ليس وراءها حماقة أن تبنى الأسرة الثابتة على عاطفة متبدلة متحولة .

ومن الحماقة أن يبنى الزواج على الحب .

من ذا الذى داره على كثيب من الملح فى طريق السيل ؟ .

الحب فراشة حلوة ، فيها أجمل الألوان ولكنها لا

تعيش إلا يوماً واحداً .

الحب زهرة فواحة ليس لها في الروض مثيل ، ولكنها تذبل عند أول لمسة .

من رأيي في الحب أنه لا يكون إلا إذا كان أمل ، وكان مع الأمل حرمان ، كالكهرباء لا تضيء المصباح إلا إذا التقى فيها القطبان المختلفان . أنت تحب المرأة لأنك لا تقدر عليها ، فتسبغ عليها من خيالك ثوباً تراها فيه أجمل الناس ، فإذا قدرت عليها ، وخلعت هذا الثوب عنها ، عادت امرأة كسائر النساء .

انظروا إلى الزوجين الحبيبين في شهر العسل ، وقد ذهبا يسيحان ينعمان بالخلوة الحلوة ، في أجمل البقاع ، أو أكبر المدن ، تحسبوا أن السعادة قد جمعت لهما من أطرافها ، ولكن اقتربوا منهما تروا أنها لا تمر إلا أيام حتى لا يجدا ما يتحدثان به ، إلا حديث الأيام الأولى ، يوم كان أمل وكان حرمان ، ثم تمضي الليالي ، وتبلى جدة

هذا الحديث ، فلا يبقى بينهما كلام .

وماذا في لغة الحب ، غير (أحبُّكِ) و (أحبُّكَ) ؟ ردِّدوها مئة مرة فإنكم تنامون .

فلنعلن إذاً أن بناء الزواج على الحب وحده لا يرضاه الإسلام ، لأنه لا يرضاه العقل . فهل نعود إذاً إلى طريقتنا الأولى : تخطب لي عمتي أو خالتي ، وتنتقي لي الزوجة على رأيها ، وأنزل أنا على حكمها ، وأعلق مستقبلي بها ، وأمضي العقد وأمشي إلى حفلة العرس ، ولا أعرف ما لون عين العروس وما شكل أنفها ؟ .

هذه طريقة سقيمة عقيمة ، فماذا نصنع إذاً ؟

ما هي الطريقة المثلى ؟

هي يا سادتي طريقة الإسلام . إن الإسلام منح الخاطب (بعد أن يتم الرضا عنه ، ويرجح جانب قبوله صهراً) أن يرى وجه المرأة وكفيها ، أن يجلس معها

(بحضور وليها) هذه هي سنة الدين ، ولكن الآباء جاهلون ، يأبون أن يرى الخاطب الصالح وجه الفتاة ، ثم يخرجونها إلى الأسواق متبرجة متهتكة ، يرى أكثر من وجهها وكفيها الفاسق الخبيث ، وكل من كان في الطريق ، حتى الحمار !

إننا تركنا قواعد الإسلام ، فتركنا الفلاح والنجاح .

هذه هي القصة الأولى للشباب ، وهذا هو المثل الأعلى فيها .

تزوج ثم أحب زوجتك ، وأولِها قلبك ، وامنحها عاطفتك .

أما الصفة الثانية فهي البطولة ، وحظ الشباب المسلمين فيها أوفى من حظوظ شباب الأمم ، وعلى الشباب المسلمين واجب ضخم ، ذلك أن المصلحين كانوا يتلفتون قبل عشرين عاماً ، فلا يرون حولهم إلا ظلاماً لا تسطع في ثناياه بارقة أمل ، ونوماً (أو قل موتاً)

لا ترى فى خلاله أمارة حياة ، وخيبة مستمرة فى السياسة والعلم والعمل ، ثم انجلت الحرب العامة عن جسم واحد ، حاول الأقوياء الغالبون أن يخالفوا فيه سنة الله ونواميسه في كونه ، فيجعلوا الرأس يحيا وحده ، واليدين تعيشان وتفكران على استقلال ، والقلب يصبح إنساناً برجلين ، فقرروا أن تكون هذه الحكومات الكثيرات المضحكات فى بلد مجموع سكانه أقل من نصف سكان لندن (1) فكأنهم جربوا ألا يكون الواحد ربع الأربعة ، بل يكون كل واحد أربعة كاملة ! .

كان المصلح يرى ذلك ولا يرى إلى جانبه ما يبعث فى النفس أملاً أو يحيى فيها رجاء ، فكان يتشاءم ويقنط ، ولكن الزمان يا سادتى قد تحول وختمت يد القدرة المجلد

---

(1) كان في سورية الطبيعية عقب الحرب العامة سبع دول : دولة دمشق ودولة حلب ، ودولة العلويين ، ودولة جبل الدروز ، ودولة لبنان ، ودولة فلسطين ، ودولة شرقي الأردن .

الثانى من تاريخ الأمة الإسلامية ، ذاك الذى سجلت فيه عصر الانحطاط والتأخر ، وافتتحت اليوم المجلد الثالث من التاريخ لتسجل فيه عهد البعث [1] والتقدم . إن المصائب التى اشتدت وآلمت ، وتتالت وتعاقبت ، قد نبهت وأيقظت وحذرت وأنذرت ، فأفاقت شعوب هذا الشرق الإسلامى مذعورة تفتش عن طريق الحياة ، وتبحث عن سبيل العمل ، وظهرت بوادر يقظة قوية ، ونهضة شاملة ، ولكن (يا سادتى) ينقصنا الإيمان بهذه الحقيقة الواقعة ؛ فليكن اجتماعنا هذا تبشيراً بها ودعوة إليها . يجب أن نؤمن بهذه النهضة إيماننا بوجود أنفسنا ، ويجب ألا يبقى فينا متشائم .

لقد نهضنا ، ولكن القافلة تجتاز اليوم أشد مرحلة

---

(1) وضعت كلمة البعث ترجمة لكلمة { renaissance } ومعناها الحرفي (الولادة من جديد) وأنشئت سنة 1930 مجلة رسمية صدر منها خمسة أعداد .

من الطريق ، وأخطر مفازة فى هذه البادية . كانت القافلة تسير نائمة يقودها أدلاء جهلوا الطريق ، وحادوا بها عن المحجة وتنكبوا بها الصراط المستقيم ، فلما سمعت صوت القدر على لسان أولئك الأعلام : الأفغانى ، ومحمد عبده ، والقاسمى ، والشيخ طاهر ، والألوسى ، وسعد ، ورشيد رضا ، وشكيب أرسلان ، والرافعى وأمثالهم ؛ أفاق منها من أفاق ، فنهض وفتح عينيه من لم ينهض ، وقال كلٌّ كلمته ، فوقعت المعركة بين الداعين المصلحين والأدلاء الجاهلين ، وانقسم الناس بينهم أقساماً ، فكانت بلبلة ، وكانت جلبة ، وكان اضطراب ، ولكن القافلة تمشى .. تمشي على الطريق لأنها أفاقت ، ومن أفاق وانتبه لا يتبع دليلاً جاهلاً .

إن هذة النبتة على قوتها مختفية بين مئات الأعشاب الجافة التى بقيت من الموسم الماضى ، إنها ستشق طريقها من بينها وتحيا من دونها ، لأن النبتة الجديدة أمُّ المستقبل :

نصيبها الغد ، وتلك الأعشاب بنت الماضى فستذهب مع الأمس إلى غير ما رجعة .

إن صوت النهضة الجديدة ، صوت الحق ، ضائع فى الصيحات التى تدوى اليوم فى الأسماع صدى للأصوات الماضية لا يلبث أن يخفت ، لأن الصدى ينتهى ، أما الصوت فإنه يبدأ .

* * *

هذه النهضة واضحة ، فآمنوا بها يا شباب ، وانظروا إلى الحياة من ناحية الأمل المشرق الواسع لا من جهة اليأس الضيق القاتم .

إن شبابنا متشائمون : اقرؤوا قصائد الشعراء من الشباب ، إنها مليئة بالآلام ، مغمورة بالكآبة ، غارقة بالدموع . اسمعوا موسيقا الشباب ؛ كلها بكاء ، كلها نحيب : (يا لوعتى يا شقايا ، ضاع الأمل من هوايا ...)

فمـا لشعرائنا ومـوسيقـيينا الشبـاب لا يرون فى الدنيا لذة ولا سروراً ؟ .

لم يبصرون ظلام الليل ولا يرون بهاء الشمس ؟ .

لم يفكرون فـى وحـشـة الخـريف ولا يـفكرون فى روعته ؟ .

لم ينتبـهـون إلى عـرى الـشـتـاء ولا ينتبـهـون إلى خشـوعـه ؟ .

إن كل مـا فى الدنـيـا جـمـيل بهى ولـكن فى عـين الشاب الصحيح القوى .

أمـــا المريض ، أمـــا المسلـول المحطوم ، فـــلا يرى إلا الظلام.

فيا شبابنا داووا نفوسكم من سل اليأس .

* * *

لقد استدار الزمان كيـوم ظهر الإسلام ، واحتضرت

الحضارة وكادت تأتى عليها مادية الغرب ، فتذهب بها كما ذهب بالحضارة الأولى تفسخ الحكومتين الكبيرتين فارس والروم .

إن العالم اليوم بين حجرى الرحى التى تطحن المدنية ، وتتركها هباء متثورا كما تكهن وِلزْ .

العالم بين مادية الغرب وحياته الحديدية الآلية وروحية الشرق الأقصى وفناء الهنود فيما وراء المادة ، ولا سبيل إلى النجاة إلا بالنهج السوى « نهج الإسلام » .

فيا شباب المسلمين تجردوا لأداء الواجب ، وإسماع العالم صوت الإسلام .

إن هذا الدور الذى تجتازه اليوم أمم الشرق الإسلامى ، يشبه دور البعث « الرونساس » فى أوربا ، وعلى الشباب أكبر الوجائب فى هذا الدور .

على الشباب واجب علمى هو أن يبعثوا المكتبة

العربية القديمة بحلل جديدة ، وأساليب مستحدثة .

إن فى هذه الكتب الصفراء علماً جماً ، ولكنه مطمور تحت أنقاض الأسلوب الماضى . فى كتب الفقه مثلاً ما يستنبط منه القانون الأساسى والقانون الجزئى ، والقانون المدنى ، والقانون الإدارى ، وقانون أصول المحاكمات ، ولكن هذه الكتب موضوعة على طريقة لا نسيغها اليوم ، ولا نألفها ولا تصلح لنا ولا نصلح لها ، إن كانت تصلح كل الصلاح فى عهد من ألَّفوها ، فيجب على الشباب أن ينقطع منهم فئة إلى دراسة هذه الكتب وتفهمها ، ومعرفة ما فيها ، واستخلاص موادِّها العلمية ، وعرضها بشكل جديد .

إن الأساليب (يا سادتى) أزياء ، وقد تبدل الزى اليوم ، فليأخذ الخياط الماهر هذا الثوب القديم ، وليصنع من قماشه ثوباً جديداً ، على ألاَ يضيع منه خيطاً واحداً

إن من العار أيها السادة أن تترقى أساليب التأليف فى

كل العلوم ونبقى نحن ، فى علومنا ، على ما كنا عليه .

إن الذين كتبوا هذه الشروح وهذه الحواشى وهذه التقارير عظماء أجلاء ، لأنهم أنتجوا شيئاً وعرضوه على أحسن شكل يألفه عصرهم ، وليس عليهم ذنب ، ولكن الذنب علينا ، نحن الذين لا يؤلِّفون ، ولا يشتغلون ، ولا ينتجون ، وإنما يعيشون عالة على أجدادهم كهذا النبات الطفيلى الضعيف الذى يتمسك بأقدام النخلة الباسقة .

* * *

وإن على الشباب واجباً اجتماعياً هو أن يدرسوا الإسلام ، ويكشفوا عن رأيه فى هذه المعضلة الاجتماعية إن العالم سيضيع بين الاشتراكيين والماليين الفرديين ، ولا طريق إلى النجاة إلا الطريق الأوسط الذى يهبط عن خيالات الشيوعيين وأحلامهم التى لا تتحقق أبداً ، ويترفع عن أفق الماليين الذين يستعبدون الناس بأموالهم ، ويسخرون المجموع لمصلحة الفرد .

وإنى على يقين أن للإسلام القول الفصل فى هذا الباب ، ولكن أحداً من العلماء لم يكلف نفسه عناء البحث عن رأى الإسلام الاجتماعى [1] .

وإن على الشباب المسلمين واجباً أخلاقياً ، هو إنقاذ العالم المتردّى فى مهاوى الرذيلة التائه فى مهامه فى الظلام .

ارفعوا منار الإسلام ، وانشروا مكارم الأخلاق التى بعث نبيكم ﷺ لإتمامها .

أليس من العجيب يا سادتى أن يُسأل النبى ﷺ عن المؤمن : هل يسرق ؟ فيجيب باحتمال ذلك ، وإن كان نادراً ، فإذا سئل : هل يكذب المؤمن ؟ قال : لا . أليس من العجيب أن يجعل النبى ﷺ الكذب ثلث النفاق ، وإخلاف الوعد الثلث الثانى ، ثم يكون فى المسلمين

(1) كان ذلك يوم ألقيت المحاضرة من أكثر من نصف قرن ، وقد ظهرت اليوم بحوث وكتب ، جزى الله مؤلفيها خيراً ، ونفع بها .

اليوم من يكذب ويخلف المواعيد ؟ .

أليس عجيباً أن يأخذ الإفرنج غير المسلمين أخلاقنا ، فتكون لهم عادة وطبعاً ، ويضيع المسلمون أخلاقهم ؟ .

أليس عجيباً أن يقول الله فى كتابه : ﴿ **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين** ﴾ ، ثم يكون فى المؤمنين من هو ذليل فى نفسه . مضيع لكرامته ؟ .

فيا شباب المسلمين تخلَّقوا بأخلاق الإسلام وانشروها بين الناس وأنقذوا بها العالم .

الخلاصة

أتحبون بعد هذا أن ألخّص لكم المثل الأعلى للشابّ المسلم ؟ .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ والعصر ، إن الإنسان لفى خسر ، إلا الذين ءامنوا ﴾ بالله وعلموا أنه الأول والآخر ، وأنه المريد القادر ، وأيقنوا أن كل شىء بإرادته ، لا شريك له فى ملكه ، ولا شفيع عنده إلا بإذنه ولا يعلم الغيب إلا هو ، فلم يغفلوا عنه ، ولم يعبدوا غيره ولم يقدسوا سواه ، ولم ينتظروا النفع والضر إلا منه ، وعلموا أن له جنداً لا نراهم وملائكة وجنّا ، وعوالم لا نبصرها ، وآخرة وجنة وناراً ، وسموات وعرشاً .. وأنه بعث أنبياء وأنزل كتباً .

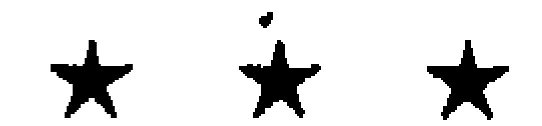
﴿ **وعملوا الصالحات** ﴾ فأدوا حق الله عليهم من صلاة وزكاة وصيام وحج ، وتقربوا إليه بالنوافل والأعمال الحسنة ، وأدوا حق الناس فلم يتعدوا على أحد في ماله ولا عرضه ولا جسمه وأدوا حق أهليهم ووالديهم ومن له فضل عليهم وأدوا حق الأمة بالسعي في نجاحها وتقوية روابطها ، وضمان مصالحها ، والعمل على كل ما يرفع شأنها ، ويعلي مقامها بين الأمم من علم أو صناعة أو زراعة ، أو وعظ وإرشاد ، أو تعليم وتهذيب .

﴿ **وتواصوا بالحق** ﴾ أوصوا به نفوسهم ، ووصوا به غيرهم ، وتحروه في أمورهم ، فكان الحق إمامهم ، ودليلهم ، ورفيقهم ، وقائدهم ، ولم يكونوا من أنصار الباطل أبداً ، فلا يقبلون من المبادئ والعلوم والفنون إلا ما هو حق لا باطل فيه .

﴿ **وتواصوا بالصبر** ﴾ على أداء الواجب وعلى

التواصي بالحق ، واجتناب الباطل والابتعاد عن الرذائل مع منازعة النفس إليها ، وإقبالها عليها [1] .

هذا هو المثل الأعلى للشابّ المسلم : إيمان كامل لا شرك فيه ، وتصديق بكل ما جاء من عند الله ، وعبادات منزهة عن البدعة ، وعمل صالح ينفع الفرْد والمجموع وَدعوة إلى الحق وتمسك به ، وصبر على تحقيقْ هذا المنهج ، وأداء هذه الواجبات .

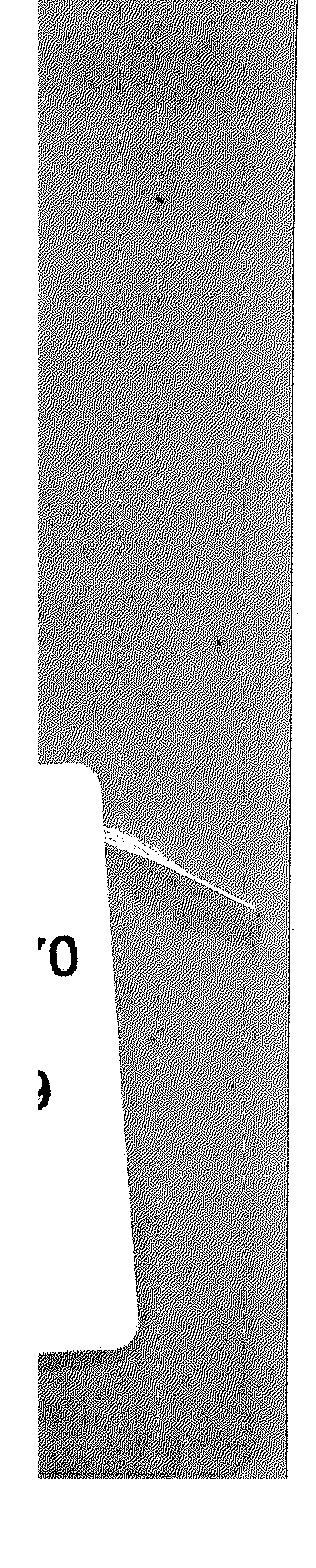


---

(1) لي تفسير لسورة العصر بعد هذه المحاضرة فتح الله عليّ فيه بما لم أسبق إليه .

الفهرس

الموضـــــوع	الصفـحـة



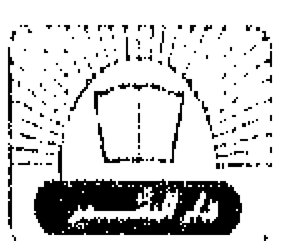
سلسلة « رسائل البشير »

إن عوامل نجاح الدعوة :

* الفهم الدقيق ـ الإيمان العميق ـ الحب الوثيق ـ الوعى الكامل ـ والعمل المتواصل .

* وفى سبيل الوصول إلى هذه الغاية كانت سلسلة رسائل البشير ؛ لتكوين الفرد المسلم الصحيح الفكر الذى هو دعامة الدعوة إلى الله .

ودار البشير إذ تقدم هذه السلسلة إلى قرائها فى العالم تدعو الله أن ينفع بها المسلمين .



دار البشير للثقافة والعلوم

طنطا أمام كلية التربية النوعية

تليفاكس: 302404 - 308909 ☎ 228277 ـ 210907